خليص في التاريخ المنسي (٢٧)

محمد علي الشيخ

سأل (أبو أيمن) : ليه تكتب عن والدنا !!! سأل بعفوية وسماحة ، وأجاب : لأنك تحبه . وبرر استنتاجه " بالصدق الذي يشعر به عند قراءة النصوص التي اكتبها .

أعترف بأن ذهني لايسعفني - دائما بالإجابة الكاملة المقنعة على الأسئلة المفاجئة ؛ وذلك لأنني أشتغل بالكتابة ، ومن شأنها أن يعتاد الذهن ويتدرب على الاستقصاء والمنطق والأناة والتراتيبة . وهذه المواصفات - غالبا لاتسعف البديهه والاسترسال الذي يعتمد على المباشرة والسياقات المفتوحة ؛ وربما بسبب كثافة أفكاري ، أبدو مشتتا أحيانا . عدت للبيت ، وأنا اعترف بوجاهة السؤال ، وأشعر بنقص في الإجابة ؛ حيث إن (الحب) بدلالته العامة يشاركني فيه الأهل والأصدقاء : الأقربون والبعيدون - ربما بنفس الدرجة . إذن ، هناك دوافع أخرى :
لعل ابنة صاحب السيرة (زوجتي) هي في صميم الرغبة الجامحة في تأطير حياة والدها ؛ كأنما تريد أن تستعيده أمامها في صورته المرسومة بمخيلتها ، والعالقة بذاكرتها ؛ ربما هو كذلك ؛ ربما رغبة ابنائه في استدامة الإشراق البهي لوجه ابيهم ؛ ربما إجماع معاصريه على فرادته ؛ ربما أنا المحب والمحبوب ؛ ربما هي كذلك مجتمعة . أنت لا تستطيع أن تحدد بوضوح تام معطيات اعجابك بشخصية ، تعتقد جازما أنها متفردة ومائزة بين استواء المجموع ، وحكيمة في غياب الفهم ، ومتمدنة في زمن البداوة . شخصية : لولا أنها شاهدة على العصر لحسبها الناس من نسج الخيال .

وكل مايتم تناقله عنه ، هو ماتم على أرض الواقع وبين الناس ، فشهدوا عليه وحمدوه وحفظوه . وهو يتمثل في امرين : أولهما - ماتعارف عليه القوم بالإصلاح - تسويات (قضايا الخصومة) وثانيهما - ماتعارف عليه القوم بالفزعة (الإعانات والقروض) لكن هناك جانب آخر - إذا ماتجاوزنا مساهماته في الشأن العام بشقيه الرسمي والاجتماعي = خيرا فعله ، أو دل عليه - هناك جانب آخر يتحقق في الخفاء ، بعيدا عن عيون الناس وألسنتهم ؛ فيبقى طي الكتمان . يتسرب أحيانا بعض منه ليس من باب (إعلانه) بل من باب (شكر المستفيد) الذي رفع يديه يدعو سرا برحمة (الواهب) ففاضت كلماته نهرا من الحمد .

إن أرفع الناس قدرا من لايرى قدره ، وأكثر الناس تواضعا من لايرى فضله ، وأحب الناس إلى الله أنفعهم لخلقه . قال صل الله عليه وسلم : (رأيت أقواما من أمتي على منابر من نور ، يمرون على الصراط المستقيم كالبرق الخاطف ، نورهم تشخص منه الأبصار ، لا هم بالانبياء ، ولاالصديقين ، ولا الشهداء . إنهم أقوام تقضى على أيديهم حوائج الناس) .

محمد علي الشيخ